نظير لك في الخلق

أحمد حسين

"الناس صنفان، أخ لك في الدين أو نظير لك في الخلق". هذا ما قاله الإمام علي بن أبي طالب قبل نحو ألف وأربعمئة سنة، قال ذلك في عصر ومجتمع كانت قيمة الإنسان فيه تساوي منزلته الاجتماعية أو قدرته الاقتصادية، وهذه المقولة تكاد تكون قاعدة إسلامية إذ تؤيدها القاعدة المحمدية "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده"، وخلاصة هاتين القاعدتين هي: أهمية الإنسان وقيمته تأتي في ما يقدمه لبني البشر من خدمات. هاتان القاعدتان ليستا حكرا على الإسلام، فلو بحثنا بتجرد من دون أحكام مسبقة على الآخر المختلف عقائديا أو عرقيا سنجد أن جميع الأديان وحتى الشعارات السياسية تحث على المؤاخاة والسلام الإنساني، لكن للأسف، السياسة، حين تدخل السياسة والمصالح في أي شيء تفسده لا محالة، إنها آفة كل خير.

أطفال يعملون في القمامة .. مثال صارخ على انعدام العدالة

صورة نشرت في الانترنيت صعقتني، أب صومالي يقتل ابنه لينقذه من الجوع، لا أدري متى التقطت الصورة، ولست متأكدا إن كانت واقعة حقيقية أم إنها من تجليات الـ(فوتوشوب، وإخوانه)، لكنها صورة ليست خرافية قطعا وبلا شك، ففي الصومال وغيرها من دول العالم مجاعات موجعة تدمي القلوب، فمن منّا نبض قلبه المدمى وبدلا من أن ينزف الدم مد يد المساعدة دون أن ينتظر شيئاً بالمقابل، من منّا شاهد هذه الصورة أو قرأ هذا الخبر وفكّر أن يقدم المساعدة الإنسانية وليس التبشيرية لدينه أو مذهبه أو قوميته أو حزبه؟

الطفولة قداسة يحرم المساس بها، هي خط أحمر، بل خط ملتهب يجب أن يحترق من يقترب منه، فهل تعاملنا مع هذه القداسة كما أمرتنا أدياننا وأحزابنا، أم أن لعابنا الديني المذهبي القومي السياسي سال لهذه الصفقة المربحة، صفقة الأصوات المخزونة في صندوق الحسنات، بل هل حقا أن قادتنا الدينيين والقوميين والسياسيين فكروا ولو للحظة بكسب هؤلاء الجياع إلى صفهم حتى وإن كان عن طريق التبشير؟! المؤلم في الأمر هو الجواب الواقعي – كلا – لم يفكر أحد من هؤلاء القادة بالجياع، فهم لن يهتدوا لغير أديانهم ومذاهبهم، كما إنهم لا يملؤون صناديق الاقتراع كونهم من جنسيات أخرى، ولن يعززوا العددية القومية فهم من قوميات أجنبية، فهل نحن متفهمون لهذا أم أن غشاوة المكاسب الأخروية والدنيوية أغشت عقولنا وقلوبنا وحتى عيوننا فأصبحنا كالحجارة "وإن من الحجارة لما يتشقق فيخرج منه الماء"؟!

من منّا أطعم هؤلاء الجياع من دون أن يضع نصب عينيه تعميدهم بماء دينه، أو إلزامهم بأداء طقوس مذهبه، أو سماهم بأسماء تنصر قوميته، أو حشا عقولهم بإيديولوجيته وفلسفته؟! من منّا أنقذهم من بؤسهم من دون أن يطالبهم بالإذعان له وتمجيد فضله؟! حتى الأمم المتحدة التي من المفترض أنها تعمل من أجل خير الإنسانية لم تتمكن من إنقاذ الجياع والبؤساء من واقعهم المؤلم فهي تعتمد في تنفيذ برامجها على ما تجود به الدول من مساعدات عينية ودعم مادي ،وهذه الدول لا تقدم شيئاً دون مقابل، لكن نحن بني البشر هل حاولنا أن نضغط على دولنا وحكومتنا من أجل أن تنقذ أخوتنا لنا في الخلق، بل هل تبرعنا من جيوبنا لهم؟!

سأتحدث عن بلدي العراق، سنويا تصرف مليارات الدولارات على أداء الطقوس الدينية والمذهبية والقومية والسياسية، الطقوس الدينية تشمل ما ينفقه الفرد العراقي مسلما كان أو مسيحيا أو صابئيا أو إيزيديا أو يهوديا أو غيرها من الأديان، لإحياء المناسبات الدينية سعيدة كانت أو حزينة، جماعية أو فردية، كذلك الحال بالنسبة للطقوس والمناسبات القومية، ولا يختلف الأمر في المناسبات السياسية والحزبية.

سنويا تتكبد محافظة كربلاء خسائر تقدر بنحو ١٠٠ مليار دينار – أي ما يعادل ٩٠ مليون دولار – بحسب ما كشف محافظها، بسبب الأضرار التي تلحق بالمرافق العامة من قبل الزوار، ولا أغالي إذا ما قلت أن خمسة أضعاف هذا المبلغ أي ما يعادل نصف مليار دولار على أقل تقدير تنفق سنويا من قبل الدولة والمواطنين لإحياء المناسبات الدينية الشيعية الكبرى حصرا (عاشوراء، النصف من شعبان، بيعة الغدير، مولد ووفاة النبي محمد، مولد ووفاة الإمام علي)، لكن هل فكّرت الحوزة العلمية في النجف بإرسال مئات الأطنان من الطعام والشراب والحلويات التي يلقيها أصحاب المواكب في الصرف الصحي أو المزابل؟

لا يختلف الأمر لدى السُنة، فهم أيضا ينفقون سنويا مليارات الدنانير لإحياء مناسبات دينية، باستثناء أمر واحد وهو أن مناسباتهم أقل بكثير من الشيعة، فهل اقترح فقهاء السُنة جمع ما ينفق من أموال لإطعام الجياع؟

والحال لا يختلف لدى المسيحيين أو اليهود أو الصابئة أو الإيزيديين، أو القوميات العراقية والأحزاب السياسية الدينية والعلمانية.

لذا لا أظن أن أحدا سيختلف معي حين قلت أن ما ينفق سنويا في العراق لإحياء المناسبات الدينية والقومية والسياسية والاجتماعية والثقافية والفئوية والفردية، يدخل في خانة مليارات الدولارات، فهل فكّرنا بإنقاذ جياع الصومال وأفريقيا والهند وغيرها من موتهم البطيء، هل فكّرنا أن نقدم لهؤلاء شيئا دون أن ننتظر مقابل؟. أنا على يقين أن متصدقا يطعم جائعا من دون نوايا تبشيرية سيحظى باحترام وتقدير لشخصه ولدينه وقوميته وحزبه، أكبر من ذاك الذي يستخدم الجوع وسيلة للابتزاز.

سيقول البعض "ها نحن نقدم ما نستطيع للنازحين السوريين دون مقابل"، أحقا ذلك، أحقا نحن نقدم دون مقابل؟! منذ أشهر والعائلات السورية تغادر بيوتها ومناطقها مكرهة، هربا من الموت والخراب، وما موجة النزوح الأخيرة إلا محصلة نهائية لتفاقم الأزمة وبلوغها الذروة، منذ أشهر وتركيا تفتح حدودها للنازحين السوريين لكنها تكدسهم في مخيمات حدودية، وهو ما يؤكد أن تركيا لا تستقبلهم حبا بهم بل إنها محاولة يائسة من حزبها الحاكم لنفخ الروح في جثمان الإمبراطورية العثمانية، ومنذ أشهر أيضا دول خليجية وعربية وأجنبية ربما تدعم المعارضة أو الجيش الحر أو الثوار – دعونا لا نختلف على التسمية – بالمال والسلاح والرجال والإعلام، وإيران هي الأخرى كذلك لكنها تدعم النظام السوري، ولكل مصالحه، لنصرة مذهب أو صيانة منافع أو تنفيذ أجندات، إقليم كردستان هو الآخر منذ أشهر ينصر بني جلدته كرد سوريا احتفاء بكردستان الكبرى، الأنبار والكثير من العرب السُنة وكذلك العلمانيين والشيعة المناوئين للحكومة، أيضا تنادوا لنصرة السوريين واستقبالهم، لكن كرد فعل على الموقف السلبي السابق لرئيس الوزراء نوري المالكي ليس إلا، إذ لم تظهر المبادرة الأنبارية والعلمانية إلا بعد ذلك الموقف ولم نسمع قبل ذلك حملة نظمت لنصرة الشعب السوري، إذاً هل حقا ما قدمناه نحن العراقيين وغيرنا للشعب السوري كان من منطلق إنساني وليس دينيا أو مذهبيا أو قوميا أو سياسيا؟

ثم لماذا نغادر حدودنا إلى أفريقيا وسوريا، في العراق نفسه وفي محافظة ميسان تحديدا، وفي هذا العام اضطرت امرأة معدمة إلى – بيع – تزويج ابنتها البالغة من العمر ثلاث عشرة سنة بمليون دينار لتسد رمق العائلة، وطفلتها الأخرى التي تصغرها بعام واحد تنتظر دورها في سوق النخاسة، فمن طرق باب هذه المرأة؟ لا أحد. في بغداد وغيرها من المحافظات عائلات تحتمي من جحيم شمس تموز بجدران وسقوف من العبوات المعدنية (التنك)، عائلات صائمة رغما عنها منذ سنوات بعد أن أصبح الفقر صديقها الوفي وقدرها اللعين، فمن منّا بحث عنهم ليلقي عليهم التحية فقط؟!

ثمة تساؤلات تنهش عقلي: هل أخطأ الإمام علي بمقولته، إذ يبدو أن الناس صنف واحد، أخ لك في الدين أو المذهب أو القومية أو الحزب، وكل ما عدا ذلك عدو. وهل نحن حقا مؤمنون بتعاليمنا السماوية، عاملون من أجل خير الإنسانية، أم إننا مؤمنون فقط بأنفسنا واحتياجاتنا وليذهب الآخرون إلى الجحيم. ولماذا لا تستفيق إنسانيتنا إلا بعد الموت، حين نرى أبا قتل طفله، أو طفلا أفريقيا نخر الجوع جسده فخارت قواه ومن خلفه نسر ينتظر لينقضّ على جثته، لمَ لا تتحرك مشاعرنا إلا بعد أن تتطاير أشلاء الأطفالَ بمفخخات وحوش جهنم، أو تسحقهم دبابات شياطين المال والسلطة، لمَ لا نبادر قبل أن يحدث كل ذلك ونكون سببا في الحيلولة دون حدوثه؟!

لعبة الكبار في الشرق الأوسط

يعقوب يوسف

بحسب المعطيات التي حفل بها تاريخ الشرق الأوسط المعاصر لم يعد بمقدور شعوب الشرق الأوسط خاصة العربية امتلاك الإرادة للتوحد بهدف الحصول على الاستقلال والسيادة بعيدا عن التدخلات الخارجية ؛ رغم ما جرى من تغيير ظاهري لأنظمة الحكم في عدد من البلدان العربية ؛ لكنه تغيير غير جذري لا يمت بصلة لهذه الشعوب التي توهمت فئات منها بأن ما جرى من تحولات هو عبارة ثورات أطلق عليها جزافا الربيع العربي .

لم يدرك بعض المحللين والمراقبين طبيعة ميزان القوى الدولي الذي كان له الدور الكبير في إحداث التحولات ، ففي ليبيا كان التدخل الخارجي هو العامل الأساسي في الإطاحة بحكومة القذافي ،فعلى افتراض عدم التدخل من قبل حلف الناتو فإن حكومة القذافي ستظل كما هي ، أما في مصر فالصورة اتخذت طابعاً آخر عندما أمسك الجيش بزمام الأمور ليحافظ على مصالح الكبار بموجب توصيات الولايات المتحدة وبعض الدول الكبرى ، أما في تونس فرغم تشكيل حكومة تونسية منتخبة لكن ثمة احتجاجات للرأي العام تعود لأسباب اقتصادية ، وفي اليمن لم يتغير الوضع كثيرا عندما تم استبدال الرئيس صالح بشخص آخر لتستمر التوترات والأزمات في هذا البلد .

بشكل إجمالي ثمة سبب رئيسي لما يدور من توترات داخل هذه البلدان مرده التدهور الاقتصادي ومعاناة الكثير من مواطني هذه البلدان ، فهل تستطيع الحكومات الجديدة تجاوز المشكلة الاقتصادية دون إبرام اتفاقيات مع الدول الكبرى التي تسيطر على السوق العالمية وتهيمن على ميزان السياسة الدولية أم سوف تتمكن عبر الاكتفاء الذاتي من بناء اقتصاد متين ومثمر ؟

لا يمكن لهذه الحكومات امتلاك السيادة لأن شعوبها منقسمة طائفيا وعرقيا وقوميا ، حيث تعمل الدول الكبرى على إذكاء نار الصراعات والفتن الداخلية لاستنزاف هذه الشعوب ، واليوم تنتقل عدوى التغيير الكاذب إلى سوريا عبر تجنيد قوى الإرهاب واستقطابها من كافة أنحاء العالم لتحقيق هدف مزدوج يتمثل في محاولة تصفية الحسابات مع الدولة السورية الحاضنة للمقاومة اللبنانية والفلسطينية عبر استدراج قوى الإرهاب والتطبيل إعلاميا لها واعتبارها قوى معارضة تنشد التحرر لاتخاذ شعاراتها ذريعة لضرب سوريا ومن ثم استنزافها والقضاء على بنية دولتها .

متى كان الإرهابيون حلفاء للولايات المتحدة وللغرب ؟ ألم تذرف الولايات المتحدة بالأمس دموع التماسيح على ضحايا أيلول الذين سقطوا بسبب مهاجمة قوى الإرهاب كبريات المؤسسات فيها ؟

إن الولايات المتحدة وحلفاءها الغربيين والإقليميين وضعوا مخططا مزدوج الهدف له شقان ،إما إسقاط الدولة السورية أو على الأقل إضعافها ومن ثم تصفية الجماعات الإرهابية بسلاح الجيش السوري فهل من المعقول أن نعتبر الجماعات الإرهابية حليفة للغرب ؟

كلا إن تشابه المصالح هو الذي دفع بقوى الإرهاب إلى الارتماء في أحضان أمريكا وتركيا والسعودية وقطر وهي دول راعية للمصالح الغربية في المنطقة وحامية لوجود إسرائيل في المنطقة .

يقول هنري كيسنجر عراب السياسة الأمريكية في منطقة الشرق الأوسط لو سار مخطط إسقاط الدولة السورية مثلما نريد لتمكنت إسرائيل من السيطرة على نصف منطقة الشرق الأوسط .

بحسب هذه المقولة فإن كيسنجر وساسة الغرب غير متيقنين من نتيجة هذه الحرب ، معنى ذلك أنها حرب غير معروفة النتائج حتى بالنسبة لمن خطط لها ونفذ أجنداتها على الأرض .

كيسنجر .. عراب الحرب العالمية الثالثة

جوائز وهدايا رمضان

حسين رشيد

رمضان جوائز بالجملة

قبل أيام كنت أستمع إلى إحدى الإذاعات العراقية، عن طريق الصدفة ومن خلال جهاز الموبايل وذلك لانقطاع الكهرباء "الوطنية"، وانطفاء الكهرباء "الرجعية" الممثلة بالمولدة الأهلية، وعطل أصاب المولدة الشخصية بسبب سوء نوعية البنزين المحلي والمستورد! لينتهي الحال الى ما عليه. بالطبع كان برنامج مسابقات وسؤال مطروح للإجابة وللفائز كارت شحن موبايل. وبعد بعض الحوارات التافهة إلى حد اللعنة بين المقدم والمتصلين، تم استقبال اتصال من احد المستمعين، يستعلم به عن الجائزة التي فاز بها قبل أيام ولم تصلها إلى حد لحظة الاتصال، وهي عبارة عن كارت شحن فئة (٥٠٠٠) الألف دينار. تصورا جائزة مقدارها ٥٠٠٠ الألف دينار ولم تصل إلى الفائز بها!! ترى كيف لو كانت ٥٠٠٠ الآلف دولار، وهي قيمة بعض الجوائز لمثل هكذا برامج تبث من إذاعات عربية وعالمية.

وفق هذا يتلقى المواطن العراقي يوميا عدة رسائل من قبل شركات الهاتف النقال، تحفزه للمشاركة في مسابقاتها المتعددة. حيث تقدم الكثير من الجوائز المغرية التي تصل قيمة البعض منها إلى ملايين الدنانير، آلاف الدولارات. من جهة المواطن الأمر ليس سوى وسيلة لسرقة الرصيد، أما من جهة شركات الاتصال فهي وسيلة للربح والفوز. تنشط مثل هكذا حالة في الغالب في شهر رمضان، وكأن الشهر وجد للقمار والتسلية واللهو. ولم تكتف هذه الشركات بهذا بل راحت تدعم وترعى الكثير من برامج المسابقات الرمضانية في اغلب الفضائيات والإذاعات العراقية. التي تصر على إعلان تلك الجوائز المغرية في فواصل إعلانية مملة جدا. وفي ذات الوقت انتهجت هذه الفضائيات سياسة الإغراء بإعلانها عن جوائز كبيرة في بعض برامجها الخاصة بالمسابقات.

لكن الغريب بالموضوع، أو بالأحرى لاتوجد غرابة، مع كل هذا الكم والعدد الكبير من البرامج وجوائزها المغرية لم نسمع أو نشاهد مواطنا عراقيا حالفه الحظ وفاز بواحدة من تلك الجوائز. واستطاع من خلالها أن يغير وضعه المعيشي إلى الأفضل والأحسن.

تتنوع هذه الجوائز بين المال والذهب، وسيارات فارهة أو غرف نوم فاخرة الخ من جوائز وهدايا مغرية، يسيل لها لعاب أي مواطن. خاصة ونحن نعيش أزمة متعددة الجوانب والأبعاد السياسية والاقتصادية والاجتماعية والأمنية، لذا تجد هذه الجوائز باتت حلما للكثير من أفراد الشعب.

ولو أجريت معادلة بسيطة عن هذه الجوائز اليومية والأسبوعية والشهرية، ومثلما معلن ولنفترض أن قيمة ما يوزع يوميا من خلال الإذاعات والفضائيات بحدود المليون دينار، وأن قيمة السيارة الأسبوعية يقارب الخمسة عشر مليون دينار عراقي، والجائزة الكبرى سيارة فارهة لاتقل قيمتها عن خمسين مليون دينار عراقي. بالنتيجة سيكون الناتج ١٦٠ مليون دينار عراقي جوائز فقرة واحدة أو مسابقة واحدة. وهو رقم عادي جدا بالنسبة إلى قيمة ما يحصل من واردات الاتصالات تقسم بين الفضائية وشركة الاتصال.

ولو افترضنا مرة أخرى أن كل شركة ترعى وتدعم عشرة برامج فضائية وإذاعية بمعدل ١٠٠ مليون دينار لكل برنامج سيكون الحاصل مليار دينار عراقي تقدم وتعلن كجوائز، بالمقابل هناك مليارات أخرى ستجنى أو تسرق من خلال هذا المعيار الاغرائي. من غير رعاية ودعم العديد من المسلسلات التي تبث عبر الفضائيات العراقية في شهر رمضان.

ربما يقول قائل إن الأرقام مبالغ فيها، وهذا من حقه. لكن إذا عدنا إلى عدد المشتركين في كل شركة اتصال، الذي وصل إلى ١٥ مليون مشترك في كل شركة، مثلما تعلن تلك الشركات، ولو افترضنا أن كل مشترك يصرف يوميا دولارا، يعني في اليوم الواحد يدخل ١٥ مليون دولار إلى رصيد تلك الشركات ،وهذا اقل تقدير.

لو كانت هذه الشركات حريصة فعلا على مساعدة المواطن العراقي المحتاج، لعملت على توزيع هذه المبالغ أو حتى نصفها على اقل تقدير، بين مستحقيها الحقيقيين من خلال العديد من وسائل التكافل الاجتماعي. كذلك الحال بالنسبة للفضائيات العراقية التي باتت ترصد الملايين والمليارات لبرامج خاصة بشهر رمضان اقل ما يمكن القول عنها إنها مملة ومقرفة. رغم ان البعض من هذه القنوات يبث برامج تعنى بمساعدة الناس، لكنها للأسف الشديد تدخل في خانة التهريج والتطبيل والتشهير فاسم الشخص الذي تسلم المعونة أو المساعدة يبقى يدور ساعات وساعات على سبتايتل تلك القناة.